

الحلقة التاسعة والخمسون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ما هي علامات أو مظاهر الشخص العظيم برأيك مستمعي؟ هل هو الشخص الذي يملك المال الكثير؟ أم هو الشخص الذي يحوز على مناصب عالية ويتسلط على الآخرين؟ أم تراه الشخص الذي يتمتع بشهرة واسعة؟ أو الشخص الذي تكون له شعبية كبيرة؟ قد تكون كل هذه الأمور من علامات عظمة الشخص.

لكننا في لقاء اليوم سنتحدث عن مفهوم جديد للعظمة أعلنه المخلص المسيح. وهو يختلف بالكلية عن المفاهيم البشرية السائدة. وكنا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن طلب والده ابني زدي تلميذي المسيح يعقوب ويوحنا، أن يجلس المسيح ولديها واحد عن يمينه وآخر عن يساره في ملكوته. وتبين لنا النظرة الخاطئة لملكوت الله التي كان تلاميذ المسيح وكل اليهود يعتقدون بها. وأن ملكوت الله يبدأ بالتوبة عن الخطية والإيمان بالمخلص المسيح. وهو ملكوت روحي وليس ملكوتاً أرضياً. وأن اتباع المسيح يكون بنكران النفس والآلام وليس بالسعي للجلوس عن يمين المسيح ويساره.

وبالطبع لقد اغتاض تلاميذ المسيح العشرة الآخرون من طلب الأخوين يعقوب ويوحنا. ليس لأنه لا توجد عندهم هذه الرغبة للحصول على المراكز الأولى بل لغيرتهم من الأخوين. «فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ الْمَسِيحُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءُ يَتَسَلَطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيماً فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِماً، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا، كَمَا أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (بشارة متى ٢٠: ٢٥-٢٨). سننأمل الآن بحديث المسيح هذا لتلاميذه فابقوا معنا.

مستمعي الكريم، بدا واضحاً من الحادثة التي قرأناها قبل قليل، أن تلاميذ المسيح جميعاً كانوا يتنافسون على المراكز الأولى في ملكوت الله. لأنهم كما ذكرنا قبل قليل، لم يكونوا يدركون أن المسيح لم يأت ليؤسس مملكة أرضية، بل كان هدفه هو ملكوت الله

الروحي. وعلى هذا الأساس أخذ المسيح يشرح لهم الفرق الكبير بين مفهوم العظمة لدى ممالك الأرض، وملكوت الله. وبدأ من نقطة بديهية عندما قال لهم: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ». أجل هذا هو المفهوم البشري للعظمة: أن الرؤساء والعظماء يسودون على شعوبهم ويتسلطون.

لكن بالنسبة لملكوت الله فإن الوضع مختلف بالتمام، إذ تابع المسيح قائلاً: «فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوْلًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا». حقاً يا له من مفهوم سامٍ جداً وعظيم. أن من أراد أن يكون عظيماً في ملكوت الله عليه أن يكون خادماً للآخرين. وليس هذا فحسب: بل من أراد أن يكون أولاً في ملكوت الله عليه أن يكون عبداً للآخرين. والعبد هنا بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، أي الذي لا سلطان له على الآخرين، بل الذي ينفذ إرادتهم ومشيتهم. وهنا نجد فرقاً كبيراً جداً بين المفهوم البشري للعظمة في ممالك الأرض، ومفهوم ملكوت الله للعظمة.

فالعظيم بالنسبة للبشر هو من يتسلط على الناس ويصدر أوامره إليهم، ويطلب من الآخرين أن يخدموه. بينما الذي يريد أن يكون عظيماً في ملكوت الله عليه هو أن يخدم الآخرين بدل استغلالهم. فيحبهم ويضحّي بأوقاته وراحته من أجلهم، ويستمتع لهم بقلب مفتوح، ويعالج مشاكلهم، ويخدمهم بكل طواعية دون تدمر. فهل سمعت قبلاً صديقي عن هذا المفهوم للعظمة؟ أو لم تجد أن هذا المفهوم هو فعلاً يخالف المفهوم البشري المعتاد؟ أو لم يجذبك هذا المفهوم بسموه ورفعته؟ أو ليس هذا دليلاً على أن هذا المفهوم هو مفهوم إلهي يصلح فقط لملكوت الله؟

صديقي المستمع، لم يقف المسيح عند هذا التعريف الجديد للعظمة، بل تابع ضارباً المثل على نفسه فقال: «كَمَا أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ». إن ابن الإنسان أي الرب يسوع المسيح، الذي تجسّد وصار إنساناً، قد أتى لهدف خدمة البشر، وليس لكي يخدمه الآخرون. وليس هذا فحسب بل إن هدف مجيء ابن الإنسان هو لكي يبذل نفسه فدية عن كثيرين، أي لكي يضحّي بنفسه من أجل خلاص الكثيرين الذين سيؤمنون به. وكانت الفدية هي المبلغ الذي يُدفع لتحرير عبد رقيق من العبودية. وكان المبلغ الذي دفعه المسيح لفدائنا هو دمه الثمين الذي سفكه على الصليب.

فلقد مات المسيح على الصليب عوضاً عنا نحن البشر الخاطئة، آخذاً عقاب خطايانا. وبهذا المعنى لقد دفع الفدية عنا، أي ثمن تحريرنا من عبودية الخطيئة. وهكذا أصبح بإمكان كل من يؤمن بعمله الكفاري هذا أن يتحرر من عبودية الخطيئة وينال الغفران عن خطاياه. لقد خطّ المسيح بهذا المثال الأعظم القدوة لكي يفقدي به كل من يريد الدخول إلى ملكوت الله. فإذا كان المسيح وهو المعلم

العظيم قد خدمنا نحن البشر هذه الخدمة السامية وضحي من أجلنا، فكم بالحري علينا نحن أن نفتدي به ونخدم الآخرين.

إن إن مفهوم العظمة الحقيقي في ملكوت الله يكمن بخدمة الآخرين وليس باستغلالهم، كما هو المفهوم البشري للعظمة. فالذي يريد أن يكون عظيماً في ملكوت الله عليه أن يخدم الآخرين ويكون عبداً لهم، لا أن يسعى لكي يكون عظيماً باستغلال الآخرين والتسلط عليهم، بحسب المفهوم البشري لممالك الأرض.

مستمي الكريم، لقد قدّم المخلص المسيح نفسه فدية من أجلك لكي يحررك من عبودية الخطيئة. فما هو موقفك إزاء هذا العمل المجيد؟ هل تتجاوب معه وتؤمن بهذا المخلص الفريد وعمله الفدائي؟ وعندها تتحرر من عبودية الخطيئة وتنال الغفران وتصبح من أولاد الله وتحظى بالحياة الأبدية.